داليدا

بقلم

دعاء جمال

المقدمة

مرحباً عزيزي القارئ، كيف حالك؟

نعم بالطبع يهمني حالك فنحن من اللحظة التي قررت بها إقتناء تلك الرواية أصدقاء وليس مجرد قارئ و راوي.

ساخذك في رحلة قصيرة عنوانها أسمي و م دتها سدس الربع قرن تقريباً،

زمنها ما بين الـ ١٩٩٨_٢٠٠٢ م

أحداثها تدور حول... فلـ اعرفكم بنفسي أولاً، أنا داليدا ابنة السادسة وعشرون عامًا، مواليد مدينة الحب (الإسكندرية)، وحيدة أمي وأبي ومثلما تق ل أمي دومًا "عدوة الرجال الأولي" لا أعلم لماذا هل لكوني أريد رجل يقترب من الكمال أم لأنني أرفض كل من يتقدم لخطبتي! فلنقراء وتحكموا أنتم علي الأمر.

لا أملك من الأصدقاء سوي مراد ،هواياتي تتلخص في
القراءة، النحت وكتابة بعض الخواطر ولكن لنفسي ليس للنشر أو لنقل لم يحن الوقت بعد لنشرها.

ماذا سيحدث في تلك الأربع سنوات وهل سأغير نظرتي للرجال ام سأظل "عدوة الرجال الأولي "؟

ستعلم كل شئ في وقته المناسب يا صديقي لا تستعجل شئ فجميع الأشياء تأتي باختلاف وقتها وشغفنا لكنها تأتي.

الفصل الأول

تشرين الأول من عام 1998

الإسكندرية _ الرابعة عصرًا من نهار يوم السبت .

لطلاما أحببت تلك اليوم دومًا، جميع أيامي المميزة كانت سبتاً..

يوم ميلادي، يوم لقائي بـ "حمزة" و اعترافه بحبه لي، و يوم ميلاد ابنتي وصديقتي المفضلة "آسية" .

اعتدت قضاء كل سبت في المكان ذاته مع احتساء ذات الكوب من القهوة السادة واختلاف محتوي ما اقراءه فقط.

أحدي أيام السبت تشاجرت أنا وأمي الذي تبلغ من العمر منتصف الخمسين عمرًا وآخر الثلاثين شكلاً لذات السبب الذي تقوم القيامة له كل صباح لكن.. مهما تظاهرت بالقسوة والتجاهل كل مرة فأنا لا أريد شئ سوي إسعاد تلك المرأة التي افنت عمرها للاعتناء بوحيدتها بعد فقدانها ابيها، كل شئ كانت تفعله خلال تلك السنوات هو فقط لاسعاد وارضاء الفتاة التي لا تملك سواها ليلعب دور الأم والأب والصديقة معاً، بعد كل شِجار بيننا ينفطر قلبي وأنهار باكية بين ذراعيها معتذرة وواعدة إياها أن اتحكم المرة القادمة في ردات فعلي وغضبي..

في تلك اليوم لملمت أشيائي وذهبت إلي مكاني المعتاد "كازينو العجمي" ولم التفت لشئ ولم أنطق بكلمة واحدة حتي طوال ساعتان وانا غارقة في أشخاص روايتي ولا يهمني إلا هم مع احتساء قهوتي السادة التي أفضلها واشكو مراراتها دومًا، وبالمناسبة لا أحتاج إلي طلب قهوتي في كل مرة اذهب فيها إلي الكازينو فـ "مراد" صاحب الكازينو ي وصي النادل دومًا

بتقديمها فور دخولي ثم يسأل إن كنت أريد شيئاً من الحلاويات لي عادل مرارة القهوة لعدم ثباتي علي ذلك،.

مراد شخص لطيف هادئ بطبعه يحب البساطة حد الموت، يراقب الجميع في صمت ويتوقع قصصهم ولا يسعي لمعرفتها أو البعض منها حتي، يشبهني حد الملل وسبق وطلب مني

الزواج لكنني رفضت رفض قاطع موضحة الأمر بأننا أصدقاء رائعيين ولا نصلح لغير ذلك من العلاقات .

بعد ساعتان تقريباً من القراءة المتواصلة توقفت لالتقاط أنفاسي والتفكير فيما حدث و قمت بوضع الرواية في حقيبتي لأجد شخ ص أراه للمرة الأولى في الكازينو ي حدق بي وكأنني أحدي عجائب الدنيا السبع! نظرت لعيناه مباشرة لكي يخجل ويتوقف عن النظر لي لكن نسيت مرادي بعد ثوا ن معدودة غارقة في

عيناه البنيتان ليتردد في عقلي عبارة مشهورة تق ل ' لو أن حظي باتساع عيونه لحكمت من نجد إلي بغداد'.

لم ألاحظ أي شيء وكأن الزمن قد توقف حتي قاطعني النادل ليسألني عن رأي في القهوة انتهيت من ذلك والتفت لتلك الطاولة التي كان يجلس عليها مرة أخري لكنني لم أجده!

هل هذا شبح أم ماذا! لا أعلم

مر اليوم وتصالحت أنا وأمي كالعادة وقصصت عليها ما حدث لتضحك عل ي مندهشة أن أحدهم لفت انتباهي أخيرًا ولها الحق فأنا عدوة الرجال الأولي من وجهة نظر الجميع ليس أمي فقط، آه وبالمناسبة تلك هو الأمر الذي اتشاجر وأمي عليه مرارًا وتكرارًا.

تناسيت الأمر ومرت الأيام وظل ترددي علي الكازينو بشكل أسبوعي مستمر ولم أراه مرة أخرى ولم أفكر في الأمر كثيرًا لنكن صرحاء أنا لست الشخص الذي يبني القصص في خياله
أبداً..

مهلاً! نسيت أن أعرفكم بذاتي !

أنا داليدا ابنة السادسة وعشرون ووحيدة أمي وأبي رحمه الله، تخرجت من كلية الآداب قسم علم النفس قبل خمس سنوات تقريباً، اعيش أنا وأمي في ضواحي الإسكندرية واعمل في البوتيك الخاص بأبي كل يوم ما عدا السبت فهو مخصص لي

وهواياتي ومتعتي فقط وا حضر ماجستير في علم النفس وانوي التكملة حد الدكتوراه الأكاديمي إن شاء الله.

ماذا عنك/عنكِ !!

مر شهران علي تلك اليوم ولم أراه قط خلالهم وتقدم مراد لخطبتي مرة أخرى وتكرر رفضي لكنه أصر أاخذ يومان تلك المرة قبل تأكيد الرفض ووفقت لمعزته في قلبي فمراد ليس صاحب الكازينو الذي أتردد عليه فقط هو صديقي السري الذي يعلم خباياي ويفهم تقلباتي المزاجية ويعلم ما بي من النظر لعيناي فقط.. بالمناسبة مراد هو الشخص الذي يكرر جملة "لو أن حظي باتساع عيونه لحكمت من نجد إلي بغداد" والمفاجأة أنها ت قال لعيناي أنا!

يتغزل بعيناي وكأن عيناه لا تري في الدنيا خير سوي من
خلالي أنا وعيناي فقط، ولكنه القدر الذي جعل مراد متيم بي وجعلني متيمة بأخر.

ودعت أمي وقبلت يداها اللتان تربت علي قلبي عندما تقسو عل ي الحياة وذهبت إلى الكازينو كالعادة كي أكمل جزء من الرواية واتبادل أطراف الحديث مع مراد بعدها ودخلت الكازينو لأجد أحدهم يجلس على طاولتي وظهره لي تملكني الغضب

وهرولت لكي استأذن تلك الشخص للجلوس على طاولة أخري بكل أدب ورقي فهذه الطاولة خصصها لي مراد منذ سنتان ولا يجلس عليها غيري أيام السبت.

مساء الخير هل لي أن استأذنك بالجلوس علي ط... لم أكمل جملتي لأجده هو!!!

هو ذات الشخص الذي أبحرت في عيناه وأنا لا أعرف بدأيات العوم حتي والمفاجأة أنني لم أجده وحده، وجدته وأمامه خاتم تحلم به كل فتاة في تلك الحياة ليق ل لي " مرحباً أنا حمزة هل تقبلين الزواج بي!؟؟؟"

لم أفهم حمزة في تلك اللحظة كيف لشخص أن يتقدم لخطبة أو زواج شخص لا يعرفه ولم يراه سوي مرة واحدة فقط!! ولم أفهم ذاتي لموافقتي علي الزواج من شخص لا أعلم شئ عنه سوي عيناه.

لم أعرف عن حمزة سوي أنه إبن من أبناء عائلة النمساوي فقط حينها ولم اسأل عن أي شيء يخصه أيضًا، أردته هو فقط لم أرد معرفة ماضيه أو أي شيء يفرقني عن حلمي معه.

تقدم حمزة لطلبي من أمي في صباح اليوم التالي وحدثت مراسم الزواج وسافرنا إلي باريس 'مدينة الأحلام' كما يعرفها المعظم ويردد حمزة دومًا.

قضينا أسعد ثلاثون يومًا من حياتي علي الإطلاق، كان يجعلني بخفة الفراشات من السعادة والطمأنينة، لم أشعر بتلك الإحساس إلا مع حمزة في تلك الفترة، فعلنا كل شئ ممكن في ذلك الشهر في باريس لم نترك شئ واحد لم نفعله صدقاً.

غير حمزة مفهومي عن العلاقات بشكل كامل من يوم لقاءه جعلني اتلهف لرؤيته في كل لحظة من لحظات يومي، غمرني بالحب والعطاء والاهتمام والشئ الأهم الطمأنينة، وهبني حمزة من الطمأنينة والأمان ما يكفي لعدم تفكيري في أي شيء وأنا بين ذراعيه، شعرت أنه أبي الذي تركنا وانا مازالت طفلة لا تفهم شئ عن الحياة حتي وجعلني هو أبنته وحبيبته قبل زوجته.عدنا إلي مصر لكننا لم نكتفي بأيام باريس فذهبنا لمدينة الحب الأولي والأخيرة " الإسكندرية" لنقضي لحظات أكثر سوياً ونصنع ذكريات لا تنسي ابداً.

الفصل الثاني

شتاء '1975'، يوم الخميس، الخامسة فجرًا .

فزعتني آهات أبي قبل طلوع الشمس بدقائق يتألم وكأن العالم إجتمع علي وجعه هرولت إلي غرفت أبي وأمي المجاورة لغرفتي أو مثلما أطلق عليها دومًا "مملكتي الخاصة" طرقت الباب ثم هممت بالدخول فأبي ظل لشهور لا تعد يعلمني أن لا أدخل مكان إلي بالطرق علي بابه أولاً وأدركت الآن أن أبي لم يقصد الأماكن فقط**!** أراد أبي أن يُلقني درسًا عن إحترام الحدود النفسية بشكل خاص والحدود بشكل عام بين الجميع، كان يريد مني أن أحسن التصرف مع القلوب الذي يختارها قلبي، أراد أن يعلمني أن أحسن سكن بيتنا المتواضع وقلوب أحبتي، أرادني أن أخذ الإذن من أي شخص قبل اقتحام كيانه وحبه بالطريقة الجنونية التي لا أعرف غيرها للحب، طلب مني إختيار الأماكن الذي أحب التردد عليها بدقة فالاشياء المقربة فقط هي التي تؤذي وتؤلم بخسارتها وأدركت مقصده بعد خسارات لا تعد ولا تحصى في حقيقة الأمر، فأنا شخص بطئ الاستيعاب غالبًا، أفهم الأمر بعد الكثير من الألم لا أتعلم بالنصح ولا الكلام فقط بألم التجربة ليس إلا.

علمني أبي الكثير من الأشياء وأنا التي كانت تعتقد أنها لم تلحق أبيها وعيش شعور الأب، لا أنكر أنني أحتجت لأبي أيامًا كثيرة خلال مرحلتي المراهقة والشباب ولم أجده يومًا، أفتقدت دفئه وحضنه ايامًا كثيرة وبكيت علي عدم وجوده ايامًا أكثر لكنني "أنا" قطعة حية من أبي الذي رحل، مازالت هنا بكل ما علمني إياه وأوجه الحياة بقلب غمره أبي بالحنان في طفولتي، كان أبي يسأل عني أنا أول شخص عندما يدخل إلي المنزل لا أمي لا الطعام لا شئ سواي أنا، يقبلني من وجنتي ويحضنني ويجلسني بجانبه ليبدء في عرض الحلوة الذي جلبها لي، كان يتذكر كل اشيائي المفضلة دومًا لكنه لم يعلم أن الشئ المفضل لي علي الإطلاق "هو" لا شئ غيره.

كان أبي يحنو علي كلما اشتد الأمر صعوبة نسبة لي وكانت أكبر همومي وقتها هي الواجبات المدرسية وعدم وجود طعامي وحلوتي المفضلة، كان يضمني إلي صدره ويقبل رأسي ويقل لي لا بأس كل شئ سيكون علي ما يرام يا ابنتي أنا هنا فاعتدت علي ضم أصدقاء في الكبر وقول لهم ذات العبارة بذات النبرة التي اعتدت علي سماعها من أبي وروح فؤادي، كنت كلما بكيت يمسح دموعي بيديه الذي تضمد أي جرح ويخبرني نصًا " أنا هنا لا أريد أن أري دموعك وأنا هنا يا عزيزتي" لم أجد من يمسح دموعي بعدك أبي!! بكيت ليالِ وأيام كنت اغفو من شدة البكاء واستيقظ اليوم التالي وأنا لا افهم شيء الباتة كيف غفوت ومتي توقفت عن البكاء ولماذا لا يوجد من يخبرني أن لا أبكي الاشياء بعدك؟!

بكيت ليالٍ علي فراقك وكأن عيناي تجرب البكاء لأول مرة، بكيت عندما فارقتني وبكيت في كل موقف أحتجت إليك فيه وأدركت غيابك للمرة الثانية، مازالت أبكي فراقك بعد سبع سنوات ولا أجد من يخبرني " أنا هنا لا أريد أن أري دموعك وأنا هنا يا عزيزتي".

دخلت الغرفة لاري مشهد لم يفارقني للحظة واحدة حتي الآن، وجدت أبي علي فراشه ينازع الموت وأمي جالسة في زاوية كطفلٍ يخاف الحياة وتبكي في صمت تام واضعة يديها علي فمها لتكتم صرخاتها وتنظر له وكأنها ترجوه بأن لا يفارقنا الآن كانت نظرات أمي تقل لأبي بمنتهي العجز " لا تتركني يا محمد لن أستطع السير قدمًا دونك يا حبيب قلبي وحب طفولتي"

شُل تفكيري وحركتي لثوانٍ مرت كالسنين ثم هرولت لأمي طالبة منها الإتصال بطبيب أبي لكنها كانت تعلم أنها النهاية ولا يقدر شخصٍ علي تغير القدر مهما حدث.

ظللت أصرخ بأعلى صوت في أمي كي تطلب من أي شخص المساعدة ولكن كل ذلك كان بلا جدوي وكأنها أصبحت صماء وكأن صوتي لا يصل لها مهما حاولت جاهدة، بدءت آهات أبي تقل وانخفض صوته حتي انقطع تمامًا وصمتنا أنا وأمي حينها صمت مسموع يكاد من شدته نسمع أصوات أنفاسنا.

ذهبت إلي فرشة أبي وأنا أقدم قدمًا وآاخر الأخري كي لا تتأكد شكوكي وهناك صراع داخلي بيني وبين ذاتي لن يفهم شدته وقسوته علي طفلة في التاسعة من عمرها أبدًا.

وصلت بعد ثوانٍ مرت كالسنين عليّ وتحسست نفسه لأجده قاطع النفس ولا يتحرك الباتة فتأكدت شكوك الابنة وانهارت الصديقة وهُزِمت فتاة أبيها حينها.

لم تمر ساعتان ووجدت الجميع في منزلنا يتحدثون عن غُسل وشهادة وفاة ووداع وأشياء لا أفهمها قط ولا أعلم منها شئ سوي أن قطعة من قلبي قد تمزقت فتاتًا ولا أقوي علي جمعها بعد رحيل أبي وروح فؤادي.

كانت الأيام تمر ببطء شديد بعد ذلك اليوم، لم أفارق فراشي لمدة اربعة أشهر حاول الجميع التحدث معي واخراجي من تلك المأزق لكنني لم أكن أنا في تلك الفترة حتي، أصبحت طفلة بائسة تائهة لا تعرف شئ حتي نفسها، أصبحت بلا هوية بعد رحيل صديق دربي ورفيق قلبي الأول والأخير، لم تكن أمي متفرغة للإنتباه لي تلك الأشهر فقد تركنا أبي بلا شئ، لا مال لا أصول لا أي شيء مادي ولكنه ترك داخلنا اثر لم يمت يومًا، ترك بداخل كلاً منا أشياء نحيا بيها حتي وقتنا هذا .

كان يومي عبارة عن البكاء والجلوس في فراشي خائفة حد الموت من كل شيء في حتي أتفه الأشياء، كان التحرك من فراشي خطوات معدودة مرعب نسبة لي، يُخيفني كل شئ الفقد، الموت، الخذلان، المرض، الذنب وكان الأمر الذي يخيفني حد الموت هو الحياة....

بقيت علي ذلك الحال شهور.. لا أتناول طعامي لا أمارس ما أحب لا أفعل أي شئ سوي المكوث في غرفتي ليلاً نهارًا من شدة الخوف، لم أفهم حينها ما يحدث لكنني فهمت بعد ذلك أنني أعاني الاكتئاب الحاد اثر اضطرابات ما بعد الصدمة، شخصني طبيبي بتلك الاضطراب بعد خمسة أشهر وثلاث أيام وستة وأربعين دقيقة من رحيل أبي.

كانت أمي مصدومة من تشخيص طفلتها ذات التسع أعوام بشئ كالاكتئاب في مجتمع لا يفهم عن الأمراض النفسية شيئًا ويعاملها معاملة الخرافات، وبطبيعة عمل أمي وسط الأطباء كانت تعلم ماهية ما أمر به تفصيلاً، بالمناسبة أمي طبيبة علاج طبيعي في أحدي أشهر المراكز العلاجية هنا في القاهرة... ونعم انتقلنا للقاهرة لفترات متقطعة مرارًا وتكرارًا بحسب طبيعة عمل أمي حتي أنني اخبرتكم أنني وحمزة ذهبنا من باريس إلي مدينتي مدينة الحب والجمال والبحر فلا عجب من تكرار التأرجح ما بين القاهرة والإسكندرية.

حجزت لي أمي عند أشهر طبيب في مجاله حينها ورمقني واياها الجميع بنظرة دانية لا تقدر ما يمر به أي شخص يعاني من الاضطرابات النفسية، لم يدرك أي شخص من هؤلاء الذين كانوا يمقتوني وأمي ما معني أن تعاني طفلة لم تتخطي سن البلوغ بعد من الأفكار الانتحارية والخوف اللانهائي من البشر تحت مسمى "الرهاب الاجتماعي".

الفصل الثالث

عودة إلي عام "1998"

قضينا ثلاث ليال في العجمي كنا ما بين الكورنيش وسان ستيفانو وكوبري ستانلي وقصص العشق الذي لا تنتهي.

عودنا إلي شقتنا المجاورة لشقة أمي فأنا لا استطيع البعد عنها أبداً في حقيقة الأمر وكانت حياتنا معاً أشبه بالنعيم دون أي مبالغة مرت الشهور كالايام، والأيام كالساعات من سعادتنا أنا وحمزة وحبنا لبعضنا البعض، بدءت امرض مرض لا اطيقه بعد أحدي عشر شهر أو سنة بالتقريب، انفر الطعام وجميع الروائح واتقئ من مرتان لثلاث مرات في كل نهار فاقترحت علي أمي أن أذهب إلي الطبيب لربما كان مكروباً أو شئ من هذا القبيل وطلب مني الطبيب إجراء بعض التحاليل ففعلتها وذهبت إلي المنزل ووجدت أمي تستضيف شخص لم أراه من
قبل قط رميت السلام وعرفتنا أمي قائلة لها أنني ابنتها الوحيدة وعرفتها لي بأنها أحدي أقارب أبي لكن لم تتاح الفرصة لنتعرف من قبل واستأذنت الفتاة بحجة أن هناك ما يجب القيام به الآن وذهبت ولم يخطر ببالي أي شيء من شدة الألم ارتميت علي فراشي في شقة أمي وغصت في نوم عميق وأنا أبكي من مرارت ما أشعر به ظننت حينها أن تلك اليوم هو الأكثر المًا لي لم أكن أعلم أنني ساتمزق وجعاً فيما بعد، عاد حمزة من العمل وترق علي أمي مستأذناً إياها أن تفيقني كي أعود إلي شقتي وهو ما فعلته أمي بعد ثوان معدودة من رن جرس الباب، لملمت أشيائي

وذهبت إلي شقتي ووجدت حمزة قد جهز كل شيء لتلك الليلة طعامي المفضل والشموع الذي تهدء أعصابي وشريط الفيديو الذي نشاهده مرارًا وتكرارًا ولا نمل منه أبد اً..

لا أنكر أنه بذل جهد كبير وي حترم ولكن الألم كان يتلف أعصابي حينها فقبلت وجنتيه وذهبت للنوم مباشرة ولم ينطق حمزة بكلمة واحدة حتي في ذلك اليوم واليوم الذي يليه، حتي أنه لم يفيقني وهو خارج من المنزل ترك ورقة بجانبي مكتوب بها *صباح الخير أنا ذاهب وقد اتأخر ليلا ً أو لا أعود* ولم يجيب على اتصالاتي علي هاتف المكتب طوال اليوم جعل "ليلي" سكرتيرة المكتب تجيب على جميع المكالمات وتبلغني بأنه مشغول ولا يستطيع الرد بالمناسبة حمزة طبيب جراح في حي جاردن سيتي ويملك هو ووالده أكبر شركة للمستلزمات الطبية في القاهرة والإسكندرية، حمزة وحيد أمه وأبيه الآن أيضًا،

كانت لديه اخت تصغرني بعام وتوفاها الله في حادث أليم ولا يحب حمزة التحدث عن الأمر قط.

يجمعني وإياه الطب ولكن في مجالات مختلفة، يجمعني وحمزة الكثير من الأشياء في حقيقة الأمر ليس الطب فقط.

رن هاتف المنزل واجبت مسرعة لعله هو ولكنه كان من طبيبي يبلغني بنتجة التحاليل.. "داليدا مبارك يا مريضتي المفضلة أنت حامل بأبنك أو ابنتك الأولي" لم أدرك ماذا أفعل هل علي أن أفرح!! أم أحزن!

هل سأصبح امًا صالحة! هل سارزق بطف ل بار ! ماذا سأفعل ومن أخبر وهل أنا مستعدة لتلك الخطوة!؟

أغلقت الخط معه وهاتفت أمي واخبرتها أنني في حاجة إليها في أسرع وقت، جاءت أمي في غصون عشرة دقائق مروا عل ي

كالدهر "ماذا حدث يا ابنتي هلي أنت بخير! هل حدث شيء لك أو لحمزة! ما الأمر!"

أجبت وأنا لا أريد أن تسمع آذاني ما اقول حقاً حينها كي لا تتأكد الفكرة في ذهني.

داليدا: " لا لم يحدث شيء لكن... لكنني حامل"

الوالدة: 'اوف يا داليدا ويحك يا فتاتي أهذا كل ما في الأمر اخفتيني حقاً مبارك لكِ يا صغيرتي ما الأمر ستصبحين أمًا رائعة لماذا البكاء والخوف هذا كله'

داليدا: أمي انا لا أريد طفلاً الآن أنا لست جاهزة لتلك الخطوة بعد !

الوالدة: ماذا تقولين يا ابنتي هذا خيرًا من الله سبحانه وتعالي وغير ذلك سيفرح حمزة كثيرًا هِمي لنخبره..

داليدا: لالا يا أمي لا تفعلي سأفعل أنا ذلك في وق ت لاحق انتظري

الوالدة: حسناً يا ابنتي هدئي من روعك الأمر لا يستحق كل ذلك الخوف يا صغيرتي!

تركت أمي واستلقيت علي فراشي أفكر في مئة سؤال وسؤال ولا يوجد إجابة لأحدهم علي الأقل ولكن الشئ الوحيد الذي أدركه في تلك اللحظة هو أنني غير مستعدة لتلك الخطوة بعد.أدركت في تلك اللحظة أن النعيم الذي احدثكم عنه هو نعيم

ظاهري، وأن الجنة التي اوهم الجميع بالعيش بيها نار تكويني أنا فقط.

مر يومان وأنا علي نفس الحال لا يحدثني حمزة ولا أنا أحاول حتي محادثته فأنا لا أتحرك من فراشي أصلاً طوال اليومان، ونعم حمزة يتخذ موقف في كل مرة اتمنع عنه بها وكأنني في تلك العلاقة فقط لإرضاء رغباته... ارتديت ملابس لا أحبها علي غير عادتي ولم أضع أي شيء علي وجهي لملمت خصيلات شعري وذهبت إلي أمي كي أري إن كانت بخير،

طرقت الباب لتفتح لي ذات الفتاة التي قالت لي أمي عنها أنها قريبة لنا من ناحية أبي لكن لم تتاح الفرصة لنتعرف من قبل!د هشت في حقيقة الأمر فهذة المرة الثانية في نفس الأسبوع التي أري بها تلك الفتاة في شقتنا ويبدو أنها من أصحاب البيت ليست ضيفة لكي تفتح لي أنا باب شقتنا !

دخلت وبحثت عن أمي وجدتها في المطبخ تحضر غداء لا ليس غداء بل وليمة، سألتها بغضب وغيرة من هذه وماذا تفعل هنا للمرة الثانية على التوالي صمتت أمي لثوانٍ ثم اخذتني من يدي إلي غرفتي وصمتت مجدداً فسألتها مجدداً من هذه يا أمي!؟ تلعثمت قليلاً ثم قالت جملة بسيطة لم أفهم منها حرف حينها قالت لي " انظري يا داليدا مهما كان ما سأقوله لكِ فهذا لن يغير شئ أبداً وسيظل ابوكِ هو مثلك الاعلي ولن تتغير نظرتك له" قطعتها وقلت لها بعدم صبر أمي ماذا يحدث!!؟؟؟؟

قالت حسناً يا داليدا انظري تلك الفتاة تسمي "مريم" وتكن أختك من ابيكِ ....

نعم! ماذا تقولين!

أختي!؟

من أختي!؟

تلك! وكيف !؟

لالا مهلاً لا أفهم شئ يا أمي وضحي الأمر رجاءً !

انظري يا صغيرتي كان أبوكي متزوج من امرأة أخري وأنا حامل بكِ عندما كثرت المشاكل بيننا وخرج عن صوابه وحملت تلك المرأة من ابوكي وانا في شهري الخامس وماتت وهي تنجب مريم ومن وقتها مريم تتربي عند خالتها ووصاني ابيكِ عليها وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ومنذ ذلك الحين ولها ا مان ليست واحدة أنا وأخت والدتها رحمها الله ورحم أبا كِ هذا هو كل الأمر ولم أقل لكي طوال تلك السنين كي لا تتغير نظرتك

لابيكِ لا غير ولكن أعتقد قد أن الأوان لكي تعرفي أنه لكِ اخت تصغرك بشهور في تلك الحياة كي تحني عليها وتربتي علي قلبها الذي تألم في غياب الأب وآلام معاً.

لم أنطق بكلمة لكن خانتني مقلتاي لأجد دموعي تنهمر دون إرادتي تركت أمي وذهبت إلي شقتي ولم استطع أن أفهم أي شئ من ما قيل، لم استوعب هل عليً أن امتص خيانة أبي لأمي أم وجود أخت لي وانا وحيدة طوال تلك السنوات أم كَذِب أمي علي أم حملي بطفل لا أريده !!!!

غصت في نوم عميق وأنا أفكر واتصارع مع أفكاري و فقت علي صوت حمزة يناديني بصو ت خافت " داليدا.. داليدا هل أنتِ بخير!؟"

ضمني وانهرت باكية بين ذراعيه وكأنني طفل وجد أبيه بعد وقت طويل من التيه، ربت علي رأسي وقال كل شئ سيكون بخير لا تبكي أنا هنا لا أريد أن أري دموعك وأنا هنا.. مهلاً اتتذكرون تلك الجملة؟!!!!!

نعم إنها جملة أبي، إنها هي! ها قد سمعتها للمرة الأولي بعد الكثير من الوقت د هشت من الجملة ودخلت بين ذراعيه أكثر وقلت له بكل ما في من حواس لا تتركني رجاءً، وضع يديه علي خداي ونظر في عيوني وقال لي: أيعقل أن اترك قلبي وروحي! هل رأيت شخ ص يعيش دون كلاهما من قبل يا حبيبتي!

هل أترك تلك العيون اللتان تشبه عيون الريم! هل أنا مغفل!

احتسي قهوتي كل صباح كي أستطيع أن أكمل يومي لكنه لا يكتمل بلون البن في فنجاني فقط فانظر إليه في عيناكِ كي أحيا بيهما فكانت تلك العينان ولازالت لي وطن يا داليدا

هل استغنى أنا عن تلك الخدان اللذان يشبهان الورد البلدي في لونهم!

لعب في خصيلات شعري و أكمل.. كيف يمكنني العثور على تلك الشعر الأسود الكاحل في امرأة أخري يا داليداتي أنا!

بدء يقرب شفتاه من شفتاي وهو يكمل.. هل يعقل أن أترك تلك الشفتان لغيري! قبلني وضمني مرة أخري وهو يقول لي: هل يمكنني التقرب منك أكثر قليلاً!

هل يمكن أن... حمزة حمزة توقف لا أريد ذلك هدئ من روعك حبيبي لن يحدث ذلك اليوم لا يجوز، أكمل وكأنه لم يسمع مني حرفاً حتي.. لماذا يا حبيبتي أنا هنا وأنتِ هنا فلما لا! لم يتوقف ثانية واحدة حتي رغم أنني قمت بدفعه عني مرتان تقريباً فدفعته الثالثة وأنا غاضبة: حمزة أبتعد عني قولت لك لن يحدث لماذا لا تفهم!!!!؟

حمزة: داليدا ماذا يحدث كلما اقتربت منك تقولين ذات الجملتان لن يحدث ولا يجوز الآن هل لي أن أفهم ما يحدث!!!! أم أنني أصبحت بحاجة إلي امرأة أخري كي تلبي رغباتي لأنك لا تريدين ذلك ولا يوجد أسباب حتي!؟

داليدا: لماذا تصرخ علي الآن ماذا فعلت، قلت لك لن يحدث يعني لن يحدث هل تلك الكلماتان بتلك الصعوبة حقاً.

ظل حمزة يصرخ علي وينفر تقصيري تجاهه وهو غاضب كما لم أراه من قبل وظللت امتص غضبه حتي طفح الكيل وقطعته وأنا أفقد أعصابي: لن يحدث لأنني

حامل يا حمزة أنا حامل بأبنك أو ابنتك ولا أريد أياً منهم الآن هل سيريحك ما سمعته الآن!!!!!

صمت حمزة ووسعت مقلتاه من الدهشة وقال لي بصوت خافت: لا تريدين طفلاً الآن! رويدك رويدك لا أفهم شئ، أنت حامل حسناً هذا رائع ماذا عن الجزء الثاني من الخبر! لماذا لا تريدين طفلاً الآن!؟

أم أنك لا تريدين طفلاً مني!!!!!؟؟!!؟ هل هذا طفلي أنا اصلاً!

داليدا: حمزة هل فقدت عقلك! هل تتهمني بالخيانة!!!! هل انا من كان علي علاقة بامرأة مختلفة يومياً؟

أم أنني أنا من تخون أكثر مما تتنفس!!!!!

توقف عن ذلك أنا لست مستعدة فحسب لأن أكون أمًا ونعم لا أريد طفلاً منك وهذا حقي.

وأعلم بشأن كل شئ تفعله في ظهري اتغاضي عن الأمر فقط لكي تسير المركب ولأنني وللأسف أحببتك، أنا من كانت تكره الرجال وتبقي علي مسافة لا تقل عن ثلاث امتار عن أي رجل أحببت أتتخيل ذلك!! وليس ذلك فقط أحببت رجل خائن ، يخونني ويخن ثقتي به وكأنني لن أعلم يومًا بما يفعله وها قد صرت أنا وحدي غريقت ذلك المركب!

حمزة: عن أي حق تتكلمين أنتِ ! ستحرمين رجلاً من أن يكون أب هل هذا حقك!!!!

داليدا: نعم حقي أن لا أريد طفلاً من رجل خائن مثلك لا يعرف قدر ما يملكه!

هل تريد إنجاب طفل للدنيا وأنت لا تعرف حتي كيف تكون زوج صالح لا أب!

هل تريد مني طفلاً كي نعاني أنا وهو سوياً منك ومن أفعالك! لا يكفيك معاناتي أنا مع قهرك لي وخياناتك المتكررة ! مندهش أليس كذلك؟ نعم يا حمزة كل مرة عاشرة بها امرأة غيري كنت أعرف حينها ومعظم المرات التي تسكعت فيها مع فتاياتك الذي توعدهن بالزواج كنت أعلم يا حمزة إن لم يكن جميعهم.

لا يهم كل ذلك فأنا إتخذت قراري بالفعل ولن أتراجع عنه.

حمزة: أي قرار؟

داليدا: قرار أنني سأجهض الطفل..

حمزة: إذا فعلت ذلك لن نكن مع بعض ثانية يا داليدا أنا أحذرك!

إذا اجهضتي الطفل سانفصل عنك.

داليدا: حقاً!

جيد فاليكن.. موعدي غذاً عند الطبيب أنا ذاهبة لأمي.

حمزة: وموعدنا غداً عند المأذون إذاً...

الفصل الرابع

كان حمزة علي علاقة بكثير من النساء حتي بعد زواجنا وكنت أنا المغلفة التي وافقت به دون السؤال عنه أو عن ماضيه يومًا.

يبرر رجال مجتمعنا الخيانة والتعدد بذات السبب دومًا وهو شهوتهم الجنسية وأن امرأة واحدة لا تستطيع أن تكفي تلك الرغبات والشهوات في حين أن هناك دراسة أثبتت أن كل رجل من أصل أربع رجال يعاني من الضعف الجنسي أصلاً! مذهل أليس كذلك!

بل مخذي في حقيقة الأمر ليس مذهل....

ذهبت إلي الطبيب في اليوم التالي وحدي فأنا لا املك شخص آخر في القاهرة سوي أمي وحمزة، ونعم انتقالنا إلي شقة

القاهرة منذ زواجي لطبيعة عمل أمي وحمزة وابتعدت أنا عن هواياتي واماكني المفضلة وصديقي العزيز "مراد" وأصبحت لا أقرأ أيضًا.

طفئ حمزة كل شئ بي خلال الشهور الأخيرة وكأنه اقتلع زهرة ربيع من جذورها وقطف زهورها واحدة تلو الأخرى، دبلت
الزهرة وماتت الجذور وجف حبر قلمي فلم أعد أكتب خواطري أو اقراء، أصبحت لا أريد شئ من الأساس.

ذهبت إلي طبيب صباحًا وكانت أمي لا تزال نائمة، لملمت بعض الأشياء الذي اعتقدت أنني سأكون بحاجة إليها وذهبت، ونعم لا تحدث تلك العمليات إلا في الصباح الباكر قبل فتح
العيادة أو منتصف الليل فهي غير مصرح بها بعد وتعد جريمة من الجرائم التي يعاقب عليها القانون.

كان الممرضات ينظرون إلى وكأنني فتاة بلا شرف خذلت أهلها، لا يعرف أحد أن الحياة وأهلي هم من خذلوني لست أنا...

حاولت أن أظهر دبلتي بكثير من الطرق في حقيقة الأمر لأنني لم أتحمل تلك النظرات التي تمزق دواخلي.

الممرضة: داليدا أحمد خليل

داليدا: نعم أنا هنا هل سنبدء!

الممرضة: نعم تجهزي هيا تعالِ .

كنت أقدم قدمًا وآاخر الأخري من شدة الخوف، كنت خائفة حد الموت، ظللت خائفة حتي الخوف "أنا" لم يكن جزءً مني بل أصبح أنا.

كانت المسافة من الإستقبال إلي غرفة الطبيب كالمسافة بين الشخص ال محتل وحقه في وطنه قصيرة جداً لكنها مرهقة وصعبة.

الممرضة: لا تقلقي لن تشعري بشئ بعد حقنة البنج، هيا يا نهال المريضة جاهزة اخبري الطبيب أن يهم لنبدء.

اخذت حقنة مخدر وريدية وبدءت أن اخترف واغيب عن وعي شئ فشئ ولم أشعر بشئ إلا عندما كان الطبيب ينادي إسمي ويسألني هل أسمعه أم لا.

فقت وقالت لي نهال بأنه يمكنني المغادرة بعد ساعة لكن إن تواجد أحدهم سيكون أفضل لأنني لست بخير تمامًا، أخبرتها

أنني بخير وأن ليس هناك من يقلني من العيادة سأذهب وحدي مثلما جئت وحدي.

ذهبت إلي البيت ورننت جرس الباب وأنا واقفة في إنتظار أمي تفتح لي جاءني محضر يطلب مني الامضاء باستلام قسيمة طلاق.. نعم طلاقي من حمزة، أتصل بأمي عندما ذهبت صباحًا أخبرته أنني لست هنا ففهم ما يحدث واتخذ قراره، لم اتفاجئ في حقيقة الأمر فكان الأمر متوقع لي من قبل شخص لا يهمه من المرأة إلا جسدها ولا يجذبه نحوها سوي شهواته.

اكتشفت خيانة حمزة لي بعد شهران أو أكثر من زواجنا أخبرني أنه ذاهب إلي عمله صباحًا ولم أخبره بشئ سوي أنني ذاهبة لأمي كعادتي لكن في حقيقة الأمر كنت ذاهبة كي أحضر هدايا عيدميلاد حمزة وكيك العيد ميلاد لاجده يضحك مع أحدهم في شارع فؤاد وهو واضع يده في يدها تمامًا كما كان يفعل معي، كان يجعلني فراشته مثلما شعرت هي في تلك اللحظة تمامًا، كان يجعلني احلق لسابع سماء والآن.. بتر جنحاي وسلبني

روحي، تركني ارضًا ورحل لاعتراضي علي وجود طفل لي من أب خائن لا يفعل شئ سوي الخيانة.

هل تعرف حمزة علي تلك المرأة مؤخرًا أو عرفها عل ي أم أنا من كانت تعرفه علي واحدة أخري أتتخيلون الأمر حتي!

ذهلت عندما رأيتهم في حقيقة الأمر لم أصدق مستحيل أن يخونني حمزة!

هل يخون من أحب!

هل حبني من الأساس ؟!

هل أنا المغلفة في تلك القصة أم هي!

هل هم علي علاقة فقط أم بينهم ما هو أكثر من ذلك!

كلها تساؤلات لاحت في عقلي وشلت حركتي وأنا في مكاني اراقبهم حتي قبلها قبلة طويلة كأول قبلة بيني أنا وهو!

قبلها بحب وشغف ثم ضمها وقبل خدِها وذهب.. ذهب وذهبت روحي معه من صدمتي، تتبعت تلك المرأة حتي المطعم الذي جلست به واقتربت منها وعلي وجهي إبتسامة زائفة وقلت لها :

مرحباً كيف حالك! وددت فقط أن أقل لك أنكم رائعان معاً هل هو زوجك!؟

قالت لي بلمعة في عيناها لن أنساها أبداً: شكرًا لكِ حبيبتي، لا ليس زوجي لكنه سيكون قريباً أدعي لنا بالخير...

لم أقدر على قول شئ لكن دموعي فعلت..

انهمرت دموعي من ملقتاي بغير إرادتي وباركت لها وذهبت.

باركت للمرأة التي علي علاقة بزوجي و ستتزوجه علي قولها وذهبت، لم استوعب شئ حينها ذهبت إلي البيت وانتظرت عودته وسألته أين كنت يا حبيبي! فرد علي وهو يلتهم شفتاي وكأنه لا يحب شئ مثلي في تلك الحياة كنت في العمل حبيبتي، إشتقت إليك تعالي ساخبرك شئ.. لم يتوقف عن تقبيلي من كل مكان في جسدي ولم أقاوم حتي استسلمت.. استسلمت للرجل الذي كان يخونني من ساعات مع امرأة الله وحده يعلم أ كانت هي الأولي ام أنا، أنتهي من تقبيلي وبدء في خلع ثيابي بالتدريج شئ فشئ وأنا لا أفعل شئ سوي الصمت وكأنني عاجزة عن كل شئ.

كان داخلي يتمزق كلما اقترب مني حمزة، لم أستطع التوقف عن تخيله معها وهو يفعل ما يفعله معي تمامًا إن لم يكن أكثر، لم أستطع أن امحو من ذاكرتي قبلته لها، كنت علي تلك الحال فترة لا بأس بها حتي رأيته مع امرأة أخري يفعل ما أعتاد علي

فعله معها ومع غيرها، قبلها وضمها وذهب من الكافيه وذهبت للمرأة وتكرر نفس السيناريو مرة أخرى وأدركت أن حمزة لن يتزوج من أخري! هو يعدهم جميعاً بالزواج ليس

إلا، يستمتع بالبداية مع كل امرأة يواعدها ويغيرها عندما يمل، لكنه معي أنا ولسبب ما قرر الزواج.

لم أخبر أحد عن ما علمته بل وتغاضيت عن كل ما رأيت وسمعت أيضًا، تقربت من حمزة أكثر وجعلته مدمن علي كل شئ معي، جعلته يتلهف للحصول عل ي يوم بعد يوم وبعد فترة تمنعت عنه بحجج مختلفة وكانت تلك هي الخطة أن يريدني حمزة أكثر من أي شيء آخر في حياته ولا يحصل عل ي لفترة حتي يعرف قيمتي ويبتعد عن أي امرأة أخري يواعدها ويكن لي أنا فقط حتي أكتشفت أنني احمل إبنه أو بنته داخلي فاصبحت أنا الساذجة المغلفة مرة أخري في تلك القصة، لطالما علمت أن حمزة يتلهف لوجود إبن له يحمل إسم حمزة النمساوي ويظل سند له لكنني لن أحمل في إبن أو بنت حمزة وإن حرمت من امومتي لآخر عمري عندما أخبرت حمزة أنني ساجهض الجنين وقال لي أنه سينفصل عني قررت إنهاء الأمر بذكاء يشفي غليلي من خيانته

المتكررة لي، بعد أن جاءني محضر بقسيمة طلاقي دخلت إلي فراشي وغصت في نوم عميق كأنني لم انم منذ شهور استيقظت مساءً وكنت أشعر بالجهاز الذي تم به اجهاضي داخلي وكأن أحدهم يحرك يداه داخل رحمي بعنف، وكأن شئ يهتك مهبلي،

تناولت بعض المسكنات وارتديت ملابسي وقابلت أربعة من النساء اللاتي يعاشرهن حمزة بشكل مستمر ويوعد كل امرأة منهم علي حدا بالزواج وكأنها الأولي والأخيرة بحياته "ونعم لم أتوقف عن مراقبة حمزة بشكل متقطع طوال الشهور الماضية منذ ثالث شهر من زواجنا تقريبا"

أوهمت كل امرأة منهم بأنني صديقة حمزة وبأنه يريد مقابلتها عند تمام الساعة الخامسة لأمر عاجل في كافيه اعتدت التردد عليه بين الحين والآخر واتصلت بحمزة وأخبرته أنني أريد أن أراه للمرة الأخيرة في ذات المكان في تمام الخامسة وعشر دقائق ليكن جميهم وصلوا، ووقفت اراقبهم من بعيد لحظة دخول حمزة وتل هف كل واحدة منهم عليه وكأنه لها وحدها كان حمزة في موقف لا يحسد عليه واتمناه لالد اعدائي في حقيقة الأمر فأنا داليدا أحمد خليل ابنة ابيها التي اعتادت القوة، أنا داليدا التي أرادها نصف رجال العجمي ورفضتهم وكأنها تملك من الدنيا ما يكفي وليست بحاجة لرجل، أنا داليدا التي تزوجت برجل لا تعرفه ووضعته في قمة الجبل وأنا ذات المرأة التي هدت الجبل بمن عليه، أنا المرأة القوية والمراهقة الجميلة والطفلة الشغوفة، أنا المرأة الذي تقدر ذاتها أكثر من أي شيء آخر في حياتها، أنا داليدا التي عودها أبيها علي معاقبة الجميع

بالتجاهل وجعلهم لا شيء لكنني لم أقدر تلك المرة علي التجاهل يا أبي أعذر فتاتك فالخيانة شئ لا ي غتفر.

حرقت روحي شيئاً فشئ حتي أصبحت رماداً يجثوا حيثما ي وضع، وتنثره الذكريات يومياً بلا رحمة أو شفقة...

سأخطوا أولي خطواتي مبتعدة عنك اليوم يا حبي الأول وأعدك لن يكن الأخير.. أعدك ساهدم ما تبقي منك داخلي بكل ما أوتيت من قوة، ساحطم حبك وقلبي سوياً دون رحمة، أعدك أنني لن أحبك كما اعتدت، لن أهتم بتفاصيلك.. عملك، صحتك، اصدقائك، مشاعرك و اختياراتك بعد الآن، لن ت كن من اهتمامات داليدا ثانية، أنا الشخص الذي جعلك تحيا وأنا التي ستأخذ منك حياتك وتتركك بلا حياة، أعدك أنك ستكون أشد البشر ندمًا عل ي يا حمزة.

تأهبت كل واحدة منهم لضم حمزة ليتفاجئ الأربعة ببعضهم البعض وبي أيضًا فدخلت وهم ينظرون إلى حمزة وينتظرون تفسيرًا، قلت لهم بكل سلاسة وابتسامة لا تفارق وجهي: بيننا شئ مشترك نحن الخمسة وهو حمزة فأنتن عشيقاته وأنا زوجته سابقاً ولست أنتن فقط لنكن صرحاء هناك الكثير منكم ولا يوجد مني إلاي.. علي أي حال هنيئا لكم.. وذهبت

وأنا رافعة رأسي للسماء بشموخ امرأة لم ت كسر من قبل وكأن قلبي لم يتألم قط، ابتسم وعيناي لا تدمع إلا فرحًا خرجت من باب تلك الكافيه امرأة أخري، أمراة متحررة من جميع القيود

والآلام، امرأة مستعدة للعيش وحدها حتي النهاية علي أن تعيش مع شخص لا يقدرها.

الفصل الخامس

عام "2002"_(الإسكندرية)_ كازينو العجمي

-هل اطلب لك شئ يعادل مرارة قهوتك يا حبيبتي!

=تعادل أنت وتلك الصغيرة مرارة كل شئ في حياتي

يا نور عيني، أنظر إلي تلك الفتاة تشبهك حد الجنون

-بلا تشبه أمها، لم تشبهني شكلاً شبهتني مضموناً فقط، انظري نفس عيون الريم، وابتسامتها التي تذيب قلبي مثلما فعلت

ابتسامتك بي تما ما، انظري أيضاً لشعرها الأسود الكاحل الذي يكاد يصل آخر ظهرها!

هل أحبك إلي ذلك الحد حقاً!

هل أحبك لدرجة أن أنجب منك داليدا أخري!

والله لو لم يكن الكمال لله وحده لكنت أول المؤكديين علي كمالك شكلاً ومضموناً، وإن لم يكن عقلي بي لالحدت من حبك أكثر من أي شيء آخر في تلك الحياة يا داليدا، يا زهرتي وحبيبتي وأمي وصغيرة قلبي .

=أحبك.

حسناً حسناً فالنعد معاً بالزمن أربع سنوات فقط لنفهم ما يحدث الآن ولكن قبل العودة بالزمن.. أريد أن أعبر لكم عن امتناني وحبي لكم يا أصدقاء، أنتم عائلتي الآن لستم مجرد ق راء، أردت فقط أن أشكركم على الوصول معي لهذا الفصل من قصتي ،أعلم أنكم لا تطيقون الإنتظار أكثر لفهم ما يجري هيا فالنعد الآن.

عام" 1998"

خرجت من تلك المكان امراءة لا تمت لداليدا خاصة حمزة بشئ، وكأنني تخطيت شهور خيانته لي في دقائق انتقامي وكأن وجعي منذ سنوات من شدة برودته، لم أشفق عليه لثواني حتي بل شفقتي الوحيدة كانت علي كل امرأة خدِعت مثلي ولم تجد من ينير بصيرتها علي حقيقة حمزة يومًا.

لم أتردد ثلاث ثوان حتي في تدمير كل شيء في حياة حمزة مثلما دمر كياني وحطم قلبي فتاتاً لا يقوي شخص علي جمعها معاً من جديد، خرجت من تلك الكافيه علي "مريم" مهلاً اتتذكرون مريم؟!

" مريم" اختي لأبي نعم إنها هي، مريم صحافية

ماهرة في أحدي أكبر الجرائد هنا في القاهرة تركت لي عنوانها مع أمي لربما أردت يومًا التعرف عليها عن قرب كـ أختان ليس إلا.

لم يخطر ببالي شخص ليساعدني هنا سوي مريم في تلك اللحظة، فتحت لي بابها وهي مذهولة من قدومي وكان أسلوبي حاد لا يليق بي ولا تستحقه هي أبداً أخبرتها أنني في حاجة إلي مساعدتها إن كانت ستساعدني ساكمل حديثي وإن كان لا فلا وقت لتضيعه.

فردت عل ي وعلي وجهها إبتسامة تشبه إبتسامة أبي تمامًا: لا بأس يا داليدا ساساعدك وإن كلف الأمر حياتي تفضلي.

شرحت لها القصة بأكملها من بداية تعرفي علي حمزة لزواجنا لحملي وخياناته المتعددة وما فعلته مؤخراً بطفلي وبحمزة

وعشيقاته اللاتي يعاشرهن كل ليلة ويعود يريد الارتماء في حضني وأنا الهبلة التي تحتضنه بلا شك.

سمعت مني كل شئ وتوقعت ما ساطلبه قبل طلبه حتي لكنها صمتت لتسمع ما سأقوله أولاً.

داليدا: أريد خبر في الصفحة الرئيسية بعنوان "تعنيف حمزة النمساوي لزوجته حتي فقدت جنينها "وها هو التقرير الشرعي لفقدان طفلي من شدة ما عانيته تلك الليلة وصورة حمزة المفضلة طبعاً فأنا اخاف على مظهر زوجي حبيبي وضعف قلبي الأول.

ضحكت مريم وقالت لي: حسناً يا داليدا سيحدث كل ما طلبتيه صباح الغد إن أمكن لا تقلقي سأعمل علي الأمر بنفسي لاتأكد أن كل شيء مثلما تريدين والآن هل يمكنني انا طلب شئ منك!

داليدا: ماذا!؟ هل ستفعلين ذلك بمقابل!

مريم: نعم إنه حقي لم لا!

داليدا: حسناً يا مريم ماذا تريدين ؟

مريم: فرصة لا أكثر...

داليدا : تعلمين أهمية الأمر نسبة لي، حسناً موافقة لا خيار أمامي.

مريم: حسناً إذا انتظري جريدة صباح الغد لنري ما سيفعله هذا الخبر في من يقدسون عائلة النمساوي!

إن كنتم تتسألون عن التقرير الشرعي فلا تنسون أن أمي في مجال الطب ومن يريدون مجاملتها كثيرون لكنني فعلت ذلك دون الرجوع لأمي صراحة واوهمت الجميع أن هذا ما حدث حقاً لم يكن يعلم بالأمر مني سوي مريم حتي ذلك الحين لكنني اخبرت أمي عندما عدت إلي المنزل بكل شئ وظللت بعدها أيام نائمة لا أتحرك ساكنة وتقتلني الصراعات التي ت قام داخلي، لم ينتشلني من كل هذا سوي مريم !

كانت تأتي كل يوم منذ الصباح حتي اغص في نوم عميق ليلاً تظل جانبي دون كلمة واحدة فقط جانبي تمسك بيدي وتصلي وتدعو لي حتي قررت أمي أننا سنترك القاهرة حتي أبتعد عن ألمي وذكرياتي مع حمزة ،وكان هذا الحل مثالي نسبة لي في حقيقة الأمر ما إن سمعت به حتي وافقت ولممت جميع اشيائي وغادرنا في الصباح التالي، و اه

بالمناسبة كانت مريم تسافر من القاهرة للإسكندرية كل أجازة لتقضية بعض الوقت معي ولتطمئن عل ي، لا أخفي عليكم سرًا اعتدت وجودها.. كان شعور الأخت دافئ يعادل امتلاكك نجمة من سماء عالية وكأنك تعلم أن مهما ضاقت بك الحياة فهناك من يحتضنك بجميع اخطاءك وهمومك دون الحكم عليك أبداً.

شعور بالأمان فقدته منذ فقد أبي ،كانت مريم تقل لي دومًا

صبتِ أم اخطئتِ أنا هنا يا داليدا، أنا معك مهما حدث يا حبيبة أختك.

كانت تخبرني أنها تحبني باستمرار رغم اننا نعرف بعض منذ شهور ليس إلا، وكنت أكابر أنا علي قول نفس الشئ في بداية الأمر كعادتي .

عرفت مع مريم معني الأخت، شعرت باشياء كنت أجرب شعورها لأول مرة علي الإطلاق ،دفء المشاعر واحتواء الصديقة قبل الأخت ،لم يكن لدي اصدقاء من قبل سوي مراد في الإسكندرية ولنكن صرحاء رفقة الرجل ليست كـ رفقة الفتيات أبداً فمهما حدث الفتيات ينبع منهن الحنان بلا حدود خصوصًا لبعضهن البعض .

تشعركأنك تولد من جديد في عالم ملئ بالحب والحنان والعاطفة اللا نهائية والحب الغير مشروط بوجود أخت لك، أظن أن الأخوات سحر يشفي جميع جروحك ويضمدها برفق، تحميك كـ أم تخاف علي طفلها من قسوة الحياة والبشر وكأنها تشعر بجميع ما تشعر به أنت.

"لو أنني أستطيع نزع الوجع من قلبك يا داليدا وعيشه بدلاً عنك لفعلت بلا تردد يا حبيبتي"

هذه جملة مريم المعتادة لي كلما رأتني اتألم من شئ وكل مرة أسمعها منها وكأنها المرة الأولى.

هل تعلم يا صديقي إحساس المرة الأولى من كل شيء

تكاد تطير فرحًا حينها بتلك اللحظات وهي نفسها اللحظات التي تقتلك من شدة الألم عندما تترك تلك الشخص ايضًا.

أول مسكة يد، أول "أحبك"، أول موعد، أول "إشتقت إليك ،" أول مرة لسماع "حبيبتي"، أول لمسة، أول حضن .....إلخ

جميعها أشياء تفتك بي يومياً بلا توقف منذ ذلك اليوم يا صديقي ،تنهش في خلايا مخي بلا رحمة أو شفقة، تظاهرت بأنني لا أبالي بشئ وظللت أق ل للجميع أنني بخير لا بأس، لا داعي للقلق وكل البأس كان هنا في قلبي أنا.

ظللت اتظاهر بالقوة أمام مريم وأمي ومراد طوال أيام لكنني فشلت في الاستمرار في ذلك لنكن علي حق، مهما كنت اتظاهر كان حضن مريم يذيب جليد صلابتي الكاذبة، أصبح مريم ومراد اقرب البشر لي قولاً وفعلاً، كانوا لي العوض من الله بعد الكثير من

الشقاء والكتمان والغضب وغيرها من المشاعر السلبية بسبب حمزة النمساوي لكنني طويت تلك الصفحة وقررت أن اتعافي بـ اصدقائي الجدد وأمي.

بالمناسبة قبل قفل تلك الصفحة عرفت من أكثر من شخص أن حمزة كان يسأل عني باستمرار لمدة شهر قبل رؤيتي له، سأل عني وعن عملي وعائلتي وطرق الوصول إلي وأشياء كهذة وقال له نادل كازينو العجمي نصًا " لا طريق إلي داليدا هانم سوا الزواج جميع الطرق الأخري ستعبرها هبئاً"

استكبر حمزة أن يريد امراة ولا يصل إليها حتي لو لم يكن يريدها بعينها المقصد هنا لإرضاء كبرياءه ليس إلا ولا أنكر أنه حبني بعد ذلك وهذا ليس فضلاً منه فمن الصعب أن يتقرب لي رجلاً دون أن يحبني لكن النهاية كانت محتومة من البداية

بكبرياء رجل شرقي غبي لا يريد شئ سوي الإيقاع بأي امراء يريدها في فراشه.

الفصل السادس والأخير

٢٠٠٠م_ جامعة الإسكندرية

" ن هنئ الطالبة داليدا أحمد خليل بحصولها علي درجة الماجستير في قسم علم النفس السلوكي بتقدير امتياز مع مرتبة الشرف"

كانت تلك اللحظة التي علمت بها أنني تعافيت تمامًا من حمزة ، لحظة نجاحي بعد كل ما مررت به في السنوات الماضية.

استلمت شهادتي وذهبت إلي أمي ومريم و مراد الذي كانوا ينتظرون نجاحي أكثر مني " ،مثلث الأمان" ذلك هو الإسم الذي أطلقته علي ثلاثي الحياة خاصتي

فهم الأشخاص الذين يعانون بمعاناتي ويفرحون لفرحي ، يقسمون معي كل شعور أشعر به دومًا، هؤلاء هم أنا..لم يتركني ثلاثتهم لحظة منذ ما حدث رغم تكراري دائمًا لأنني لا اريد أي شخص معي وأنني أريد أن أكون وحدي ظلوا معي حتي شعرت أن أنا وهم واحد وأن بوجودهم أجد "داليدا "حقاً.

كنت أنا ومراد أصدقاء مقربين قبل زواجي بـ حمزة وتوقفنا عن التحدث لبعضنا البعض لفترة لا بأس بها لظروف إقامتي في القاهرة بعد الزواج بعدة أشهر ولكن

عندما عدنا إلي الإسكندرية 'العجمي تحديداً' وبعد إنتهاء تلك القصة عودنا أنا وهو وكأن شئ لم يكن، وكأن تلك السنة لم تمر علينا من الأساس، كأننا لم نفترق قط.

وجدت نفسي مرة أخري بفضل مراد ومريم، كانوا يفعلون كل شيء لاكن أفضل.

كان الأمر في بداية الأمر يرهقني ويشعرني بالغضب لكنني اعتدت وجودهم معي يومياً حتي أنني طلبت من مريم أن تقدم طلب نقل للإسكندرية والعيش معي أنا وأمي، تفجئت أمي ولم تتردد مريم أبداً لتوافق علي طلبي رغم اندهاشها، لم يكن لدي الطاقة لاشرح الأمر لكنني لم أريد شئ سوي وجود أشخاصي المفضلين بجواري ليس إلا، أريد أن اتخطي كل ما حدث معهم وبهم فأنا أبداً لا استسلم لوضع يجعلني ضعيفة أو هشة وحتي عندما فعلت في بادئ الأمر جعل "مثلث الأمان" خاصتي تلك الهشاشة صلب لا يقوي ألف شخص علي كسره أو التأثير به مرة أخرى .

عرض مـراد علي الزواج وهو يبارك لي في حفل الماجستير ولم أوافق خوفاً من ما حدث سابقاً فقلت له أن يمهلني بعض الوقت لارد عليه واكملنا احتفالنا.

نسيت أن أقل لكم استخدمت اكثر من خمسة عشر دفتر لكتابة الخواطر وجميعهم بحوزة مـراد ومريم يتقاسمونهم فيما بينهم ويشجعوني علي الكتابة دائمًا ويفكرون في جمع أكبر قدر ممكن من تلك الخواطر في كتاب واحد يحمل أسمي لكنني لم أكن شغوفة بالأمر كان يكفيني فقط أن أري حبهم لي في أعينهم ،

كان يكفيني أن يعبر أحدهم عن حبه لكتاباتي فقط ويقل لي أنه فخور بـ داليدا...
كان يكفيني مـراد ومريم.

تعلمت أساسيات النحت أيضًا فقد كنت في الفترة التي اقضيها في البيت دائمًا ما بين الكتابة والنحت وأول شئ قمت بنحته علي الإطلاق عند تمرسي للنحت كان " مـراد" نعم مـراد مثلما قراءت/ي تمامًا، نحتت تفاصيل وجهه التي ت حفر في قلبي كلما رأيته وتذيب حزني في لحظات، نحتت وجهه كما يراه قلبي وليس عيناي فالقلب رؤيته أوضح وأشمل بكثير عن الأعين بعد الحب، تري حبيبك ملاكًا ينقصه جناحان ولكنني رأيت مـراد

دومًا بنفس الصورة لم يتغير في نظري قط منذ أن تعرفنا علي بعضنا البعض.

مـراد أصبح يعني الكثير نسبة لي بعد ما مررنا به سوياً، لم أكن متأكدة من مشاعري من قبل وقلت لربما أشعر بالانجذاب له كحيلة نفسية دفاعية بعد ما حدث مع حمزة لحماية ذاتي من عيش شعور الخذلان

والقهرة لكن الشئ الوحيد الذي كنت متأكدة منه هو أن مـراد أفضل صديق لي من جنسه خلال سنوات عمري .

كان حمزة يقل لي عندما أبكي "لا تبكي يا داليدا.. أنا هنا لا أريد أن أري دموعك وأنا هنا " وكانت تلك الجملة تؤثر بي كما لم تفعل الحروف من قبل لأنني اعتدت سماعها

من أبي رحمه الله ،بينما كان مـراد يبذل قصارى جهده كي لا تدمع لي عين منذ عودتي للإسكندرية وحتي الآن.

فهمت الفرق بين أن يمسح دموعك أحدهم وبين آخر لا يجعل دموعك تنهمر طالما هو هنا، وجدت في مـراد الصديق قبل أي شيء آخر فـ حتي قبل أن ألتقي بـ حمزة كان هو صديقي السري دائمًا ما نحكي سوياً عن أحلامنا، مشاكلنا، الحياة بشكل عامو عيناي بشكل خاص.

قلت لكم في الفصل الأول تقريباً أن م ـراد يتغزل بعيناي كأنه لا يري في الحياة خير سوي من خلال عيناي انا فقط وأكرر الأمر الآن ولكن بتغير شئ بسيط هو أنني أنا من لا يري في الحياة برمتها خير سوي من خلال عيون مـراد القلب ورفيق الدرب خاصتي .

بدءت مشاعري تتحرك تجاه مراد منذ شهور بالتدريج وكنت اتغاضي عن تلك الاحساس بشتي الطرق كي لا أقع في فخ الحب مرة أخري ولكن نحن ناضجين كفاية كي ندرك أن وقعت الشاطر بألف وحمزة كان وقعت داليدا التي ت حتسب بآلاف ليس ألف واحدة .

كان مـراد يفعل كل ما يستطيع وما لم يستطع فعله كي يريابتسامتي فقط، يقول لي بأن الحياة تبتسم له عندما أبتسم أنا، فأنا الحياة نسبة ل مـراد وأصبح هو الهواء نسبة لي، لا أستطيع المكوث في مكان ليس به مـراد مهما حدث اعتادت عيناي علي رؤيته دومًا ورؤية محاولاته التي لا تنتهي في سبيل سعادتي وارضائي، أحببت في حمزة

الحبيب دون التفكير قررت فقط أن أحبه وصار الأمر هكذا دون التدرج بالمشاعر أو إتخاذ خطوة بخطوة في تلك العلاقة، بينما أنا الآن اتدرج مع مـراد من
شخص لطيف لشخص اعتدت وجوده إلي شخص معجبة به ثم صديق مقرب لا غني عنه ...

أحببت داليدا التي أراها في عيون مـراد احببتني أكثر من أي وقت سبق، أحببت سواد الليل في شعري من شدة إعجابه به ،أحببت قوامي النحيف الذي يتخذل به ليلاً نهارًا، أحببت عيناي الواسعتان من جملة مـراد الشهيرة التي يكررها باستمرار وبلا ملل وبنفس الشغف كل مرة "لو أن حظي باتساع عيونها لحكمت من نجد إلي بغداد "

عشت ليلة ما بعد حفل الماجستير في صراع ما بين حبي وخوفي من ما مضي، اتخبط بين قهرة قلبي وحبي الذي أشعر به أنني أحيا مرة أخري بعد انتشالي من قاع المنتصف المميت ،لم انم ليلتها من الشد والجزر الذي يحدث بين خلاياي وتلك
العضو الذي يبقيك علي قيد الحياة فقط في الطبيعي ويبقيك علي قيد الحياة وبداخلك حياة فعلاً إن أحببت.

لم ينتهي صراعي حتي التاسعة صباحًا، قمت ارتديت فستان أحمر شيفون قصير حد الركبة ويقع أحد كتفيه وقوع يزيد جمالي جمالاً، واللون الأحمر لانه لوني أنا و مـراد المفضل..

أصبح هناك الكثير من "انا و مـراد" أعلم ذلك ويوترني الأمر كثيرًا كأنني مراهقة تقع في الحب لأول مرة علي الإطلاق .

تركت شعري منسدلاً علي ظهري فـ مـراد يحب أن يراه هكذا ،وضعت حمرة شفاه ومن الخجل لم يحتاج خداي لأي مورد في حقيقة الأمر، ارتديت حذاء أسود عالي الكعب به رباط يلتف حول الساق تلك هو حذائي المفضل بالمناسبة أشعر وأنا ارتديه بأنني أحدي الأميرات وذهبت إلي الكازينو وأنا علي علم بأن أول من سأراه هناك هو مراد فهو معتاد علي التواجد هناك في تمام الثامنة كل يوم.

داليدا: نهارك سعيد مـراد، كيف حالك ؟

مـراد: دال..داليدا هل هناك شئ!؟

هل لديك عرس في العاشرة صباحًا أم ما الذي يحدث لا افهم شيء.

داليدا: ماذا ألم يعجبك شكلي حقاً! هل تقصد أنني لست جميلة في تلك الثياب؟

مـراد: لا يا حبيبتي لم أقصد ذلك أنتِ جميلة دومًا في نظري يا داليدا، حتي وأنتِ في أتعس لحظاتك لم تري عيناي فيكِ سوي الجمال يا داليدا!

داليدا: اااخ فالتقل تلك "حبيبتي" مرة أخرى رجاءً

مـراد: بالكاد هناك خطب ما! هل أنتِ علي ما يرام!؟

داليدا: نعم..

مـراد: لا لحظة لم أفهم.. ماذا تعني نعم؟

داليدا: نعم، ألم تعرض علي الزواج أمس وقلت لي هل تقبلين بي شريك لك في الضراء قبل السراء وأجابتي هي نعم موافقة أن تكن مـراد قلبي ورفيق دربي وقوتي في لحظات ضعفي ،ونور عيني وزوجي وحبيبي، نعم موافقة علي أن نجعل لصداقتنا معني أسمي وأجل من مجرد إثنان أصدقاء فقط، نعم أريد أن أكمل معك وحدك حياتي وأن اختارك لي في الحياة الأخري فـ حياة واحدة لا تكفيني معك يا مـراد.. نعم أنا بتلك الأنانية التي تجعلني أريدك ملكي وحدي الآن وفيما بعد وكل وقت وحين، أحبك يا مـراد.

لم يصدق مـراد ما سمعه مني دمعت عيناه فرحًا فضممته، ضممته بقوة كأنني طفـ ل تائه وجد أمه أخيرًا أو فتاة وجدت ضالتها بعد طول انتظار أو عجوز ستلتقي بحبيب عمرها ليلاً وتتجهز لتلك المقابلة منذ الصبح... ضممته بكل ما بي من مشاعر وجوارح، شعرت بين ذراعيه بالحياة مرة أخري دون مبالغة، نسيت مـرادي ولم أقدر علي نسيان مـراد يومًا في السنوات الماضية بعد خذلان حمزة لقلبي.

تقدم مـراد لخطبتي من أمي ومريم ووافقت كلتاهما بكل سرور فهذا ما كانوا يريدونه في الأساس.

حددنا الخطبة السبت القادم في كازينو مـراد ولم نعزم من الناس سوي الأقرب لقلوبنا أنا وهو فنحن لا نحب الكثرة قدر ما نحب الحقيقيين من البشر اللذين يحبونا من قلوبهم حقاً ويتمنون لنا السعادة فعلاً ليس قولاً فحسب.

أول سبت من تشرين الأول عام 2000 م

مريم: هيا يا داليدا سنتأخر ينتظرك مـراد منذ ساعة

داليدا: مريم لا أريد لالا سأهرب لن أفعل ذلك بنفسي ثانية.

مريم: هل جننتِ؟! اليوم خطبتك عن أي هرب تتحدثين أنتِ ما الذي تثرثرين به!

داليدا: أنا خائفة..

قامت مريم بضم داليدا وتقبيل رأسها ويديها ثم قالت لها: أعلم يا حبيبة أختك وصغيرة قلبي الأولي والأخيرة، أقدر ما تشعرين به والتوتر الذي يجتاحك الآن لكنني ألكد لكي نحن علي الطريق الصحيح وإن لم نكن.. فأنا معك هنا بجانبك وسنعبر المحيطات معاً لطالما أنا هنا لا تخافين شئ ،هيا الآن سنتأخر.

داليدا: ادامك الله لي خير صحبة وخير أخت يا مريومتي المفضلة.

اخذت مريم داليدا ووالدتها ونزلوا سوياً ل مـراد ليذهبوا إلي الكازينو فـ الناس ينتظرون قدومهم علي احر من الجمر هناك.

مـراد: مرحباً يا أميرتي، كيف حالك! إشتقت إليك كثيرًا تعالي إلي هنا..

داليدا: مـراد ماذا تفعل نحن في منتصف الطريق أبتعد ماذا سيقول الناس عنا.

مـراد: سيقولون أنني اليوم ساخطب أجمل فتاة في الإسكندرية بل في العالم أجمعه يا داليدا.

ركبت داليدا بجانب مـراد واتجهوا إلي الكازينو وكانت مريم والوالدة بعربية أخري خلفهم مباشرة وصلوا ودخلوا في مظاهر الفرح والبهجة بين اصدقائهم وجلسوا في مكان يمكنهم من خلاله رؤية جميع المعازيم وبدء مـراد يقل لـ داليدا: يا داليدات قلبي يا زهرة عمري، علمت أن أسمك يعني الزهرة المتمايلة وأعدك أنني سأكون ساقي تلك الزهرة ما دمت حياً، وسـ اساندك لطالما نحن معاً يا حبيبتي.

تزوجنا بعدها بعدة أشهر وحملت بـ آسية بعد زواجي مباشرة وعمرها الآن سنتان وعمري أنا ثلاث سنوات، فأنا أحسب عمري منذ أن بدءت علاقتي بـ مـراد فقط، تشبهنا ابنتنا حد الجنون، تأخذ منه الطباع ومني الشكل ومننا معاً الحب والعطاء والحنان، مهما حدث لن تعرف شئ عن الحنان سوي بانجابك فتاة يا صديقي.

ومهما كان سيكون الحب الحقيقي هو الأول والابقي دائمًا.

الفهرس

هذه الرواية إهداء إلي :

"دعاء"والامتنان لها علي كل ما مررنا به سويا,

طبيبي النفسي الذي انتشلني مرارًاً وتكرارًاً من قاع المنتصف المميت.

أمي وأخواتي من علموني أن أحيا بالحب والعطاء.

رفيقةً دربي وجيشي في الصعاب "مريم".